

طرق الاتصال التربوي

(السمعية والبصرية)

(دراسة موضوعية في الحديث النبوي)

الدكتور نصار أسعد نصار

قسم علوم القرآن والحديث

كلية الشريعة جامعة دمشق

الملخص

أحدثت في العالم الإسلامي كليات للتربية ومعاهد للتعليم؛ تبنت قيم الآخرين وتجاربهم، متجاهلة تراث الأمة التربوي. (1) والتاريخ أصدق شاهد، والواقع خير برهان، ففي حين عادى الغرب العلم، وأقصى العلماء، أرسى الإسلام قواعد منهج تربوي تبنت نجاحته، ووضع أسساً للبحث العلمي، (2) وهدفت هذه الدراسة إلى توضيح أهم معالم التربية النبوية في تفعيل الوسائل السمعية والبصرية.

- 1- هذا حال أكثر المؤسسات التعليمية، وليس جميعها. وليس عيباً أو عاراً الأخذ من عند الآخرين والاستفادة من تجاربهم، بل قد يصل الأخذ إلى حد الوجوب الكفائي إذا كان مفيداً أو ثمة حاجة إليه، إنما العار في جلب الغث وترك السمين.
- 2- استمد الغرب أسس البحث العلمي من المسلمين في أثناء احتكاكهم بهم في الأندلس وغيرها، ونسبوا كثيراً من المنجزات العلمية لهم، وما زال المسلمون في تقهقر؛ لتوالي هجمات الغرب على العالم الإسلامي منذ سقوط غرناطة إلى اليوم.

المقدمة:

يقوم العمل التربوي على ثلاثة عناصر أساسية، معلم ومتعلم وتعلم، ولا يتحقق ناتج تربوي إلا بؤصلة تربط بينها، والبؤصلة، حواس الشخص وقدراته، من سمع وبصر وعقل ووجدان؛ فهي المنافذ والطرق التي يتم خلالها الاتصال بالعالم الخارجي، والتفاعل مع أحداثه والانفعال بها. وإن كانت متباينة الوظيفة، فما يؤدي بطريقة قد لا يؤدي بأخرى، أو الأفضل أن يؤدي بغيرها؛ وهي ليست متعارضة الأداء، بل يعضد بعضها بعضاً، فما تحقق من طريقين أرسخ مما تحقق من طريق، وهكذا ما تحقق من ثلاثة...

ونظراً إلى أن العلاقة بين طرق الاتصال تكاملية، ففي حين يقوم السمع والبصر بالنقل الخارجي، يقوم العقل بالتحليل والتركيب الداخلي، ويمثل الوجدان العاطفي مقر التفاعلات ومجمع الانفعالات. ينتج عنه مخزون ثقافي يقبع في اللاشعور، يطبع معالم شخصية المتلقي، مما يدل على أثر التربية ودورها في التوجيه والبناء، وأنه من الخير للأمة المبادرة إلى اختيار المنهج التربوي الذي يحقق بناء أجيال خيرة ومعطاءة.

وقد تحدث القرآن الكريم في مواضع عدة عن تلك الطرق، فقال عن السمع والبصر والعقل: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء ٣٦]. وقال عن مخاطبة الوجدان: (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) [غافر 32] (يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [نوح ٢].⁽¹⁾

ويمثل هذا البحث إسهاماً في تجلية بعض معالم المنهج الإسلامي في التربية، بإلقاء الضوء على طرق الاتصال التربوي، السمعية والبصرية، دراسة موضوعية في الحديث النبوي، وهي دعوة لتبني هذا المنهج والالتزام بهديه؛ لما يمثله أنه منهج أعظم مرب في البشرية، رسول الله ﷺ. يتضمن البحث مقدمة وتمهيداً ومبحثين.

المقدمة، تتضمن إشكالية البحث وهدفه والمنهج المتبع فيه.

التمهيد، يتضمن تعريفاً للاتصال التربوي، وعرضاً لمحفزات التعليم.

المبحث الأول: الاتصال السمعي.

المبحث الثاني: الاتصال السمعي.

1 - للبحث صلة- إن شاء الله تعالى - وهو طرق الاتصال الفكري والوجداني في الحديث النبوي.

تمهيد:

تعريف الاتصال التربوي:

الاتصال، لغة: مصدر، من (وصل) والواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضمّ شيء إلى شيء حتى يعلقه. (1) ووصلت الشيء وصلًا وصلته، والوصل ضدّ الهجران، والوصل خلاف الفصل، ووصل الشيء بالشيء يصله وصلًا وصلته. وفي التنزيل العزيز: (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) [القصص 51]، أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يعتبرون. واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع. ووصله إليه وأوصله أنهاه إليه وأبلغه إياه... وفي الحديث: «رأيت سببًا وصلًا من السماء إلى الأرض» (2) أي موصولًا. والوصللة الاتصال، قال الليث: كل شيء اتصل بشيء فما بينهما وصلّة والجمع وصل. ويقال وصل فلان رحمه يصلها صلّة وبينهما وصلّة أي اتصال وذريعة. والتواصل ضد التصارم. (3) ووصلت الشيء بغيره وصلًا "فاتصل" به. (4)

وقال أبو عمرو: الاتصال دعاء الرجل رَهطه دنياً. (5) والاتصال اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتصال طرفي الدائرة ويضاده الانفصال. (6)

1- مقاييس اللغة، (87/6).

2- جزء من حديث، عن ابن عباس كان يحدث أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله: «إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكفون منها بأيديهم فالمستكثر والمستقل وأرى سببًا وصلًا من السماء إلى الأرض فسأرك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل من بعدك فعلاً ثم أخذ به رجل آخر فعلاً ثم أخذ به رجل آخر فأنقطع به ثم وصل له فعلاً قال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فلأعبرنّها قال رسول الله ﷺ اعبرها، قال أبو بكر: أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن حلاوته ولينه وأما ما يتكف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله به». مسلم كتاب الرويا، باب في تأويل الرويا، (2269) (1777/4).

3- لسان العرب، (726/11).

4- المصباح المنير، (341/1).

5- تاج العروس من جواهر القاموس، (85/31).

6- < دنياً > من «الذي» وهو القريب، من دنيا يدنو، وسميت الدنيا لدنوها. معجم مقاييس اللغة، (248/2). يقال: هو ابن عمه دنياً ودنياً، أي قريب النسب. جمهرة اللغة، (371/1). وقال الأصمعي: هو ابن عمه دنياً، فإذا تباعد فهو ابن عمه ظهرًا. تاج العروس، (497/12).

6- التوقيف على مهمات التعاريف، (ص31).

إذن تدل مادة "وصل" على الاتصال والتواصل والالتقاء والقرب، وإنشاء وُصلة، وقيام صلة، فالإتصال إنشاء وُصلة بين شيئين، وقيام صلة بين طرفين...

أما الإتصال التربوي، فمعناه: تفعيل قوى التلقي لدى المتعلم.

فالتفعيل: الدفع والتحريض، والقوى: القدرات السمعية والبصرية... والتلقي: انفعال المتعلم وتفاعله ذاتياً أو مع مُعلم. والتلقي أعم من التعلم.

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي، حيث تتبعت الأحاديث الدالة على موضوع البحث، والمنهج التحليلي، وذلك بتفسير ما يشكل فهمه، وبيان وجه دلالة الأحاديث على الموضوع.

وقبل الشروع في البحث، لا بد من عرض موجز لمحفزات التعليم؛ لما لها من دور مهم في الدفع التربوي.

محفزات التعليم:

غير خاف أثر المحفزات في بعث العزيمة وتوجيه القدرات نحو تحقيق غاية معينة، حيث تتكون حالة من التعبئة النفسية والاستعداد الفكري، توجه السلوك وتؤثر في الفكر، وتمثلت تلك المحفزات في بيان مكانة العلم ومنزلة العلماء والأمر بالتعلم والحض على التعليم والحث على نشر العلم.

أما عن مكانة العلم، فلا أدل عليها من أن أول ما خاطب الله ﷻ به نبيه ﷺ قوله: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق 1]، وأمره له: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه 114]،⁽¹⁾ وقسمه ﷻ ب: (وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم 1]،⁽²⁾ والإشارة إلى وسائله، من قراءة: (أَقْرَأْ)، وكتابة: (وَمَا يَسْطُرُونَ)، وأداته

1- قال القرطبي رحمه الله تعالى: (فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم). الجامع لأحكام القرآن، (41/4).

2- قال سيد قطب: فأما القسم بها- أي الكتابة- فهو تعظيم لقيمتها، وتوجيه إليها، في وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم عن هذا الطريق، وكانت الكتابة فيها متخلفة ونادرة، في الوقت الذي كان دورها المقدر لها في علم الله يتطلب نمو هذه المقدره فيها، وانتشارها بينها، لتقوم بنقل هذه العقيدة وما يقوم عليها من مناهج الحياة إلى أرجاء الأرض. ثم لتنهض بقيادة البشرية قيادة رشيدة. وما من شك أن الكتابة عنصر أساسي في النهوض بهذه المهمة الكبرى. ومما يؤكد هذا المفهوم أن يبدأ الوحي بقوله تعالى: (أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق 1-5]، وأن يكون هذا الخطاب موجهاً لهذا للنبي الأمي، الذي قدر الله أن يكون أمياً، ثم أكد هذه اللفتة هنا لحكمة معينة، ولكنه بدأ الوحي إليه منوهاً بالقراءة والتعليم بالقلم، بالقسم بنون والقلم وما يسطرون، وكان هذا حلقة من المنهج الإلهي لتربية الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره لها في علمه المكنون. في ظلال القرآن، (287/7).

الرئيسية: (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) [العق4]،⁽¹⁾ مع عَدَهُ طَرِيقًا مَوْصِلًا إِلَى الْجَنَّةِ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»،⁽²⁾ وعنواناً للخير: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»،⁽³⁾ وهو من خير ما يخلفه المرء: فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ t قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ وَصَدَقَةٌ تَجْرِي بِيَلْغُهُ أَجْرُهَا وَعِلْمٌ يَعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ.⁽⁴⁾ والرسول r اختار حلقة العلم على غيرها.⁽⁵⁾

أما عن منزلة العلماء، فقد رفع القرآن الكريم قدرهم: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة11]، وأعلى شأنهم: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ) [آل عمران18]،⁽⁶⁾ وشرّفهم بنسبهم للعلم:⁽⁷⁾ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) [الزمر9]، وأتهم ورتة صفوة الخلق: «الْعُلَمَاءُ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَثُوا الْعِلْمَ مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّهِ وَأَفْرٍ».⁽⁸⁾

- 1- قال الفخر الرازي: من U بتيسير الكتابة بالقلم: (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) ، كما من بالنطق: (حَلَقَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ الْبَيَانَ) [الرحمن 3-4]، مفاتيح الغيب. (69/30).
- 2- أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب الاجتماع على الذكر والدعاء (4867)، الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606) وابن ماجه، المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (219).
- 3- البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ يُرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، (71) (39/1)، مسلم، كتاب الزكاة، باب النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، (1037)(718/2).
- 4- ابن ماجه، المقدمة، باب ثَوَابِ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، (237).
- 5- عن عبد الله بن عمرو w، قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ r ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجْرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلِإِذَا هُوَ بِحَلَقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ وَالْآخَرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ r كُلُّ عَلَى خَيْرٍ هَؤُلَاءِ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَتَّعَهُمْ وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيَعْلَمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ».
- ابن ماجه، المقدمة، باب فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ، (225). مسند الطيالسي، (2251) (298/1).
- 6- قال القرطبي: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء. الجامع لأحكام القرآن (41/4).
- 7- نظراً إلى أن شرف الشيء من شرف متعلقه، فيكفي حملة العلم شرفاً نسبتهم إليه، قال الإمام الشافعي رحمه الله: من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن. إحياء علوم الدين. (18/1).
- 8- أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (3157). وروي عن رسول الله r قوله: «العلماء أمناء الله على خلقه». عن أنس t، القضاءعي (115)(100/1)، وابن عساكر (267/14). جامع أحاديث (14505) (366/14).
- قال القرطبي: وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير. الجامع لأحكام القرآن، (41/4).

أما عن الأمر بالتعلم، فقد عدَّ رسول الله ﷺ طلبه فريضة: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»⁽¹⁾. وأمر بالتعلم: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُا النَّاسَ»⁽²⁾. وبينَّ طريقة تحصيله، فلا ينال إلا ببذل الجهد: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ»⁽³⁾. والرحلة لتحصيل المزيد منه،⁽⁴⁾ وسؤال أهل العلم.⁽⁵⁾

أما عن الحض على التعليم، فإن من سنن الله ﷻ في الحياة أنها تقوم على العطاء بعد الأخذ، والأداء بعد التلقي، فقد أمر ﷺ بالتعليم بعد التعلم؛ حيث قال: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ»⁽⁶⁾، وبينَّ أن العالم والمتعلم شريكان في الأجر.⁽⁷⁾ وأن أفضل الصدقة أن يُعلم المرء ما تعلمه.⁽⁸⁾ وأن للمعلم مثل أجور العاملين بما علموا: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا فَلَهُ أَجْرٌ مِمَّنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ»⁽⁹⁾.

- 1- رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن ماجه كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (81/1)(224). المعجم الأوسط (7/1).
- 2- رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتمرته: «فَإِنَّ الْعِلْمَ سَيَقْضِي وَتَطَهَّرُ الْفِتْنُ حَتَّى يَخْتَلِفَ الْإِثْنَانُ فِي الْفَرِيضَةِ لَا يَجِدَانِ مَنْ يَفْضِلُ بَيْنَهُمَا». سنن النسائي الكبرى، كتاب الفرائض، باب الأمر بتعليم الفرائض. (6305)(63/4). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، المستدرک. كتاب الفرائض (369/4)(7950).
- 3- رواه الطبراني في الكبير مرفوعاً، عن معاوية، وعن أبي الدرداء، المعجم الكبير، (928-929)(395/19)، الأول فيه رواه لم يسم، والآخر فيه كذاب، ورواه البزار موقوفاً عن ابن مسعود ورجاله ثقاة. مجمع الزوائد، باب العلم بالتعلم، (128/1).
- 4- وخاصة عندما لا يجد الطالب ما يلبي نهمته منه في بلده.
- 5- ترجم الإمام البخاري أحد أبواب كتاب العلم، بقوله: باب الخروج في طلب العلم ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهراً إلى عبد الله بن أبي نبيس في حديث واحد. ثم ساق حديث رسول الله ﷺ عن رحيل موسى إلى الخضر. البخاري، (78) (41/1).
- 6- قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِمَّنْ حَجَرَ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلْ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ فَتَلَّهِمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصَبَ عَلَى جُرْحِهِ خَرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ». أبو داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتيمم، (284)، سنن ابن ماجه كتاب الطهارة، باب المجروح تصيبه الجنابة (565)، المسند (2898)، الدارامي، كتاب الطهارة، باب المجروح تصيبه الجنابة (745).
- 7- روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ وَقَبْضُهُ أَنْ يُرْفَعَ وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوَسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ هَكَذَا ثُمَّ قَالَ الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ». ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (228).
- 8- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمَ عِلْمًا ثُمَّ يَعْلَمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ». ابن ماجه، المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير، (243).
- 9- ابن ماجه، المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير، (236).

وأولى من ينبغي تعليمهم، وأول من يبدأ بهم، أهل بيت المرء وخاصته، قَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ t، قَالَ لَنَا النَّبِيُّ r: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِكُمْ فَعَلِمُوهُمْ»⁽¹⁾ وقال وَقَدْ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ r: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شِقَّةٍ بَعِيدَةٍ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كَفَارٍ مُضَرٍّ وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاعَنَا نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ... ثم قال: احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاعَكُمْ»⁽²⁾.

ومن أجل توسيع دائرة العلم وزيادة عدد المتعلمين في الأمة، بيّن الرسول r عظم أجر من علم من كانوا ضمن عهدة الشخص، من عبيد وإماء، ومن يقوم مقامهم اليوم من خدم وعمال... فعن أبي موسى t، قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: «ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ r وَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوْلَاهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَرَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»⁽³⁾.

أما عن الحث على نشر العلم، فنظراً إلى أن حضور جميع مجالس العلم متعذر أو غير متاح للجميع، وجب على من تلقى، إعلام من لم يتلق، ومن علم، تعليم من لم يتعلم؛ لهذا أمر رسول الله r أن يعلم الحاضر الغائب: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَ مَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْهُ»⁽⁴⁾. ودعا لمن بلغ ما تلقاه بالنضارة: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَقَّقَهُ حَتَّىٰ يَبْلُغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلٍ فَقَّهِ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلٍ فَقَّهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ»⁽⁵⁾. ونظراً إلى أن البون شاسع في الخيرية، بين من عَلمَ وَعَلَّمَ، وبين من علم ولم يُعلم، أو علم ولم يعمل⁽⁶⁾. نهى رسول الله r عن كتم العلم، وأن من

1- البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس واليهائم، (5662) (5238/5).

2- رواه ابن عباس، البخاري، كتاب العلم، باب تخريص النبي r وَقَدْ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَىٰ أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاعَهُمْ، (85).

3- البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أُمَّةً وَأَهْلَهُ، (95).

4- جزء من حديث رواه أبو بكر t، البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي r رُبُّ مُبَلِّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ (65). مسلم، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، (3179).

وفي رواية: «أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ». البخاري، كتاب العلم، باب لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ t، (102).

وقال أيضاً: «إِنِّي أَحَدُكُمْ بِالْحَدِيثِ، فليحدث الحاضر منكم الغائب». رواه عبادة بن الصامت t، المحدث الفاضل بين الرواي والواعي، للرامهرمزي، (11)(ص14)، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، (4313) (453/13).

5- رواه زيد بن ثابت، الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (2580) قَالَ أَبُو عِيْسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

6- عن أبي موسى t، عن النبي r قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ فَأَنْبَتَتِ الْكَلْبَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسُكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلْبًا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، (77) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ إِسْحَاقُ: وَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قِيلَتْ الْمَاءُ فَاعْ يَغْلُوهُ الْمَاءُ وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ.

فعله أتم: «لا تكتموا العلم، فمن كتم العلم فقد أتم»،⁽¹⁾ كما أن عاقبته وخيمته: عن أبي هريرة t، قال: قال رسول الله r: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة».⁽²⁾

المبحث الأول: الاتصال السمعي

الأداة الأولى، والوسيلة الرئيسة للاتصال مع العالم الخارجي في الكائن الحي جهاز السمع، وآليته: نذبذبات صوتية تنطلق من مصدر لتصب في جهاز سمع. ويمكن تجلية المنهج النبوي في الاتصال السمعي من خلال النقاط الآتية:

أولاً، تفعيل دور الصوت:

يأتي الصوت في مقدمة أدوات الاتصال بين بني البشر، وبمقدار تحققه على الوجه الأكمل تكون الفعالية أكبر والأثر أعمق، ويراعى في الصوت: العمل على إيصاله، وتلوين النبرة، واختيار الحسن من الأصوات.

1- إيصال الصوت إلى المتلقين:

إن أول ما يجب رعايته تهيئة ما يكفل بلوغ الصوت جميع المتلقين، وقد يكون برفع النبرة، أو ما يقوم مقامها من تقانات حديثة ووسائل معاصرة، وكلما زاد العدد أو توسع المكان كانت الرعاية أكثر؛ وذلك كي يعم الخير وينتشر الخبر.

قال عبد الله بن عمرو: «تخلف عنا النبي r في سفرة سافرتناها فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنأدى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً».⁽³⁾

2- تلوين نبرة الصوت:

للصوت إحياءاته المختلفة، فالتعبير عن الرضا يكون بصوت خفيض ونبرة رقيقة، بينما يعلو ويشد عند وقوع ما يوجب الغضب، ومن الخطأ الفادح رفع نبرة الصوت في موقف يقتضي اللين، أو خفضها في موقف يقتضي الشدة، أو افتعال نبرة عالية دون وجود موقف يستدعي ذلك، كأن يشد الصوت فجأة دون مبرر أو دون أن يسبقه ما يمهد له. ولا أسوأ من خطاب يسير على وتيرة واحدة من أول

1- طرق حديث من كذب علي متعمداً، للطبراني، (175) (ص 172).

2- سنن أبي داود كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، (3658) (3/321).

3- البخاري كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم، (58).

الجلسة إلى منتهاها، أو يعلو عند موقف يستدعي الهدوء، أو ينخفض عند موقف يتطلب قوة بيان، فالأول يبعث على الملل، والثاني يثير الضجر.

فقد كان رسول الله ﷺ يعلو صوته ويشند غضبه عند الكلام عن الأمر المهم، قال جابر t: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ وَارْتَفَعَ صَوْتُهُ وَأَحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ صَبَّحْتُمْ مَسْتَكْمًا»⁽¹⁾.

وينبغي أن يراعى في النبذة طبيعة الموقف وحال الشخص، فالخطاب العام تعلق فيه النبذة وتكسوه العاطفة، بخلاف درس العلم، يلفه الهدوء ويسوده الحوار.

فمن المواقف التي تستدعي علواً في النبذة وحماسة في الإلقاء، الخطاب الجماهيري، كخطبة الجمعة أو العيد أو في المناسبات العامة، أو عند تعبئة الرأي العام. قال جابر t: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ صَبَّحْتُمْ وَمَسَاكُمُ»⁽²⁾. وبالمقابل يُخاطب الجاهل وحديث العهد بتربية، بلهجة حانية وعبارات رقيقة، كما في قصة الذي بال في المسجد: «فلما فرغ دعاه، وقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القدر إنما هي لذكر الله والصلاة»⁽³⁾ ومثله الشاب الذي طلب الإذن بالزنا، خاطبه ﷺ بقوله: «أترضاه لأمك»، وقال مرشداً لأصحابه: «إِنَّمَا أَنَا نَكْمٌ مِثْلُ الْوَالِدِ فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا»⁽⁴⁾.

3- اختيار الصوت الحسن:

للصوت الحسن وقعه في الأسماع، وأثره في النفوس، وأدعى لحسن الاستماع والنظر فيما يطرح، بخلاف غير الحسن، قد يكون سبباً للإعراض وداعياً للنفور، وكان رسول الله ﷺ يحب الاستماع إلى الصوت الندي في قراءة القرآن، فعن أبي موسى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

1- السنن الكبرى للبيهقي، باب الإمام يسلم على الناس إذا صعد المنبر قيل أن يجلس، (5545) (207/3). وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، المستدرک، (8595) (569/4).
2- مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (1435).
3- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم الأصبهاني. (654) (344/1).
4- يأتي تخريج الحديثين.

٣: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتَيْتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ،⁽¹⁾ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ لَحَبْرَتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا.»⁽²⁾

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ t أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّيَ بِالْقُرْآنِ.»⁽³⁾

1- قال ابن الأثير: شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار. وداود هو النبي ﷺ، وإليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة. النهاية في غريب الحديث. (393/3).

2- قال البيهقي: وقد أخرجاه في الصحيح ثون قول أبي موسى، وأخرجته مسلم من حديث يزيدة مختصراً في شأن أبي موسى. شعب الإيمان. (2366) (183/4). البخاري كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن. (4761) (1925/4)، مسلم، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (793) (546/1). قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. المستدرک، (5966) (529/3). وقال الهيثمي: في الصحيح طرف منه، رواه الطبراني ورجاله على شرط الصحيح غير خالد بن نافع الأشعري ووثقه ابن حبان وضعفه جماعة. مجمع الزوائد. (15942) (601/9).

3- وقال صاحب له يزيد يجهز به. البخاري كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى: (وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) (4735) (1918/4). مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (792) (545/1).

ومعنى (أذن): استمع، ومنه قوله تعالى: (وأذنت لربها)، واختلف في معنى: يتغنى، ذهب سفيان بن عيينة وآخرون: أن المراد به الاستغناء بالقرآن (الذي هو ضد الافتقار) والتكثير والاكتماء به، (عن غيره من الأحاديث والكتب)، قال الله عز وجل: (وَأَلِّمُوا نَسْلَكُمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ تُرْزَقُونَ) (النحل: 127). قال ابن الأثير: (أذن) أي أذن لهم أن يقرأوا القرآن، وذلك بأن يقرأه حذراً وتحزناً، استدلوا على ذلك برواية عبد الجبار بن الورد، قال: قلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، أرايت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع. قالوا: وقوله: "ليس منا" يزيد ليس على سُنْبَتًا فَإِنَّ السُّنَّةَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْحَذَرُ وَالتَّحْزُنُ، فَإِذَا تَرَكَ ذَلِكَ كَانَ تَارِكًا لِسُنَّةٍ، وسئل الإمام الشافعي عن تأويل سفيان، فقال: نحن أعلم بهذا، لو أراد ﷺ الاستغناء لقال: من لم يستغن بالقرآن. ولكن لما قال ﷺ: يتغن بالقرآن. علمنا أنه أراد به التغني، وأنكر أبو جعفر الطبري تفسير من قال يستغني به، وخطأه من حيث اللغة والمعنى. والصحيح أنه من تحسين الصوت ويؤيده الرواية الأخرى: يتغنى بالقرآن: يجهز به. انظر: شعب الإيمان، (189/4)، شرح صحيح البخاري، لابن بطلان، (258/10)، النهاية في غريب الحديث والأثر للجزري، (68/1).

ولا يجوز أن يُحمل هنا على الاستماع بمعنى الإصغاء، فإنه يستحيل على الله تعالى بل هو مجاز، ومعناه الكناية عن تقريبه للقارئ وإزالة ثوابه؛ لأن سماع الله تعالى لا يختلف فوجب تأويله. شرح النووي على مسلم (78/6) وقال ابن بطلان: ومن تأوله بالاستغناء كره قراءة القرآن بالألحان والترجيع. روى ذلك عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، والحسن، وابن سيرين، وسعيد بن جبير والنخعي، وقال النخعي: كانوا يكرهون القراءة بتطريب، وكانوا إذا قرأوا القرآن قرأوه حذراً ترتيلاً بحزن... وممن أجاز الألحان في القراءة: ذكر الطبري عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول لأبي موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى ويتلحن. وقال مرة: من استطاع أن يغني بالقرآن غناء أبي موسى فليفعل. وكان عقبة بن عامر من أحسن الناس صوتاً بالقرآن. فقال له عمر: اعرض عليّ سورة كذا، فقرأ عليه فيكي عمر، وقال: ما كنت أظن أنها نزلت. وأجازاه ابن عباس وابن مسعود... شرح صحيح البخاري، لابن بطلان، (258/10).

كما كان ٣ يختار صاحب الصوت الحسن لتأدية الأذان. عن أبي محذورة، قال: لما خرج رسول الله ٣ من حنين خرجت عاشر عشرة من أهل مكة نطلبهم، فسمعناهم يؤذنون بالصلاة، فقمنا نؤذن نستهزئ بهم، فقال رسول الله ٣: قد سمعت من هؤلاء تأذين إنسان حسن الصوت فأرسل إلينا فأذنا رجلاً رجلاً كنت آخرهم، فقال حين أذنت: تعالي، فأجلسني بين يديه فمسح على ناصيتي وبرك علي ثلاث مرار، ثم قال: اذهب فأذن عند البيت الحرام قلت كيف يا رسول الله فعلمني كما يؤذنون الآن بها.⁽¹⁾

ثانياً، رعاية الظروف المحيطة:

من الضروري رعاية الظروف المحيطة كي يتحقق الأداء على الوجه الحسن، ويتم هذا بالاستنصات والتهيئة، والمحافظة على الاستمرارية ومنع المعوقات.

1- الاستنصات والتهيئة:

من المهم قبل الشروع بالإلقاء استنصات المتلقين، قال رسول الله ٣ لجرير t في حجة الوداع: اسْتَنْصِتِ النَّاسَ، فَقَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».⁽²⁾ ويليه تهيئة الأسماع، وإيقاظ الهمم؛ للتأهب للتلقي، وقد يكون بالتنبيه، كما في قول رسول الله ٣: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِهِنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَفِي سَنَةٌ وَالتَّيِّبُ بِالتَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ».⁽³⁾

أو يكون بالنداء المباشر: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ y: «صَعِدَ النَّبِيُّ ٣ الْمَنْبِرَ وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسِ جَلْسَتِهِ... فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ، فَتَابُوا إِلَيْهِ...».⁽⁴⁾

2- استمرارية الاتصال وإزالة المعوقات:

من الضروري المحافظة على استمرارية الاتصال وإزالة ما يعوقه، مما يشوش الحواس ويشتغل التفكير؛ لأنه يصعب العودة إلى ما سبق من الإقبال والتفاعل.

1- سنن النسائي الكبرى، كتاب الصلاة، باب الأذان في السفر، (1597) (498/1).

2- البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (118).

3- رواه عبادة بن الصامت، مسلم، كتاب الحدود، باب حد الزنا، (4509) (115/5). الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم على الثيب، (1434) (41/4).

4- البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد التمام أمّا بعد. (885) (314/1).

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ t: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ r فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ r يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرَهُ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ، بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ». وقد ترجم الإمام البخاري للحديث بقوله: باب مَنْ سَأَلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغَلٌ فِي حَدِيثِهِ فَأَتَمَّ الْحَدِيثَ ثُمَّ أَجَابَ السَّائِلَ.⁽¹⁾

ثالثاً، تنوع طرق التلقي:

تقوم العملية التربوية على ثلاثة عناصر أساسية، إلقاء وتلق ومادة متلقاة، ويسمى المحذون هذه العملية ب: (طرق التحمل والأداء)، أي طرق التعلم والتعليم، ولا تخفى فائدة تنوع طرق الاتصال بين طرفي العملية التعليمية، فتلويح طريقة التفاعل، تجدد الحيوية وتعيد النشاط وتحفز الملكات وتنبه الحواس، إضافة إلى أن فاعلية الطرق تختلف باختلاف المادة العلمية، فما كان أجدى أن يعرض بطريقة، فالأجدى لغيره أن يعرض بطريقة أخرى.

إن أول من فصل الكلام في طرق التلقي، علماء الحديث؛ حيث حصروها في ثمانية طرق، وأولى تلك الطرق وأعلاها: لسماع من الشيخ (المعلم)، تليها: القراءة عليه، أو ما يعرف بالعرض، ثم الإجازة، وهي الإذن لمن بلغ مرحلة يستطيع معها التلقي دون تلقين مباشر من معلم بالتعلم بمفرده... وفي حين كان السماع أكثر طرق تلقي الصحابة عن رسول الله r، نلت الأحاديث على مشروعية الطرق الأخرى. قال الإمام البخاري في الاستدلال للقراءة على الشيخ: وَاحْتَجَّ بَعْضُهُمْ⁽²⁾ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى الْعَالِمِ بِحَدِيثِ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ لِلنَّبِيِّ r: اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَهَذِهِ قِرَاءَةٌ عَلَى النَّبِيِّ r أَخْبَرَ ضِمَامٌ قَوْمَهُ بِذَلِكَ فَأَجَازُوهُ.⁽³⁾

1- وتتمة الحديث: «قَالَ هَذَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِذَا ضَيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُصِدَ الْأَخْرُسُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». البخاري. (59/33/1).

قال الحافظ ابن حجر، قوله: (باب مَنْ سَأَلَ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَغَلٌ). مُحْصَلُهُ التَّبَيُّهُ عَلَى أَدَبِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ، أَمَا الْعَالِمُ فَلَمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ تَرْكِ زَجْرِ السَّائِلِ، بَلْ أَكْبَهُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ أَوْلًا حَتَّى اسْتَوْفَى مَا كَانَ فِيهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى جَوَابِهِ فَرَفَّقَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُمْ جَفَاءٌ. وفي العناية جواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعينا ولما الجواب، وأما المتعلم فلما تَضَمَّنَتْهُ مِنْ أَدَبِ السَّائِلِ أَنْ لَا يَسْأَلَ الْعَالِمَ وَهُوَ مُشْتَغَلٌ بِغَيْرِهِ لَأَنَّ حَقَّ الْأَوَّلِ مَقْدَمٌ. فتح الباري، (142/1).

قال المهلب: فيه: أن من أدب المتعلم ألا يسأل العالم ما دام مشغلاً بحديث أو غيره، لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم ألا يقطعهم عنهم حتى يتمه. شرح ابن بطلال. (137/1). والمهلب، هو ابن أحمد بن أسيد الأسدي التميمي، أبو القاسم ابن أبي صفرة، الأندلسي. فقيه محدث. له: شرح على صحيح البخاري. (ت435هـ). السديباج المذهب، (ص545). سير أعلام النبلاء، (579/17).

2- هو الحُمَيْدِيُّ شَيْخُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ.

3- البخاري، كتاب العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: «وَقُلْ رَبُّ رَبِّي عَلِيمٌ» الْقِرَاءَةُ وَالْعَرْضُ عَلَى الْمُحَدِّثِ.

وقال في الاستدلال للمناولة والمكاتبة: (1) **وَاحْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ - وَهُوَ الْحُمَيْدِيُّ - فِي الْمُنَاوَلَةِ بِحَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ كَتَبَ لِأَمِيرِ السَّرِيَّةِ كِتَابًا وَقَالَ: «لَا تَقْرَأْهُ حَتَّى تَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا» (2) فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمَكَانَ قَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ» (3).**

وتلك الطرق أساسية لا يمكن الاستغناء عنها، فما زال المعلمون يلقون مقولاتهم، وكذا المتعلمون يقرؤون على معلمهم، وتشير الطرق الأخرى: (الإجازة والمناولة والمكاتبة) إلى أنه يمكن للمتعلم القيام بالتعلم الذاتي حال بلوغه مرتبة تؤهله متابعة تلقيه بنفسه، كما يدل عليه أحد قيود تعريف الحديث، وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ من تقرير، فالتقرير يسبقه اجتهاد من المتعلم تتبعه موافقة من المعلم.

رابعاً، صفة الأداء:

بمقدار ما يكون الأداء فصيحاً، والتعبير بليغاً، والجواب حسناً، يتحقق الهدف وتحصل الغاية، وقد كان رسول الله ﷺ أفصح الناس منطلقاً، وأبلغهم تعبيراً، وأحسنهم جواباً.

1- الأداء الفصيح:

المقصود من الأداء الفصيح، أو ما يمكن أن يعبر عنه: المنطق الفصيح: تمكين الحروف، بإخراجها من مخارجها، وتحقيق الكلمات، بإعطائها الزمن المستحق؛ بحيث لا تندمج الحروف أو تتداخل الكلمات.

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ **اسْمِعِي يَا رِبِّيَّةَ الْحُجْرَةَ اسْمِعِي يَا رِبِّيَّةَ الْحُجْرَةَ** وَعَائِشَةُ تُصَلِّي فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ **أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ أَنفَا إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ**. (4)

1- المناولة: إعطاء الشيخ الطالب بعض مروياته، مع التصريح بالأذن بالرواية أو عدم التصريح. ولمكتبة: أن يكتب لشيخ الطالب حاضر أو غائب كتاباً فيه بعض مروياته. نزهة لنظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر، (ص126).
2- وفي رواية، قال له: إذا سرت يومين فافتح الكتاب، قال ففتحه هناك فإذا فيه أن امض حتى تنزل نخلة فتأنيباً من أخبار قريش. فتح الباري، (1/155).
3- البخاري، كتاب العلم، باب ما يُذَكَّرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ.
قال الحافظ ابن حجر: ووجه الدلالة من هذا الحديث ظاهرة، فإنه ناوله الكتاب وأمره أن يقرأه على أصحابه ليعملوا بما فيه، ففيه المناولة ومعنى المكاتبة. فتح الباري، (1/155).
4- مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث. (5325).

وَقَالَتُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: «أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو فُلَانٍ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيَّ جَانِبِ حَجْرَتِي يُحَدِّثُ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ».⁽¹⁾

وقد كان رسول الله ﷺ يترسل في كلامه ويفصله؛ ليفهم عنه، قال جابر بن عبد الله: «كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْتِيلٌ أَوْ تَرْسِيلٌ». وقالت السيدة عائشة: كَانَ كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَامًا فَصَلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».⁽²⁾

وقد يتطلب الأمر تكرار الكلام وإعادته؛ لتحفظه الصدور وتعيه العقول. قال أنس: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا.⁽³⁾

وعن رجلٍ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا أَعَادَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.⁽⁴⁾

وعقد الإمام البخاري باباً بعنوان: مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّوْرِ فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلْ بَلَغَتْ ثَلَاثًا».⁽⁵⁾ وبالمقابل ينبغي أن لا يتجاوز التكرار الحد المطلوب، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْغَضَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ».⁽⁶⁾ والثرثرة، الإكثار من الكلام وترديده.⁽⁷⁾

1- البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (3303) (1307/3)، قصدت السيدة عائشة أبا هريرة كما بينته رواية مسلم. صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب من فضائل أبي هريرة. t. (6554)(167/7).

2- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الهذلي في الكلام. (4841-4840) (408/4).

3- البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم. (48/1)(94). كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، (5890) (2305/5).

4- أبو داود كتاب العلم، باب تكبير الحديث (3168)، وقد ترجم له الخطيب البغدادي: باب إعادة المحدث الحديث حال الرواية ليحفظ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (234/1).

قال أبو نضرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا تذاكروا العلم، وقرأوا سورة.

وقال أنس بن مالك: t: كنا نكون عند النبي ﷺ وربما كنا نحوا من ستين إنساناً، فيحدثنا رسول الله ﷺ، ثم يقوم فنترجمه بيننا، هذا وهذا وهذا، فنقوم، وكأنما قد زرع في قلوبنا، فإذا أتقن كل واحد منهم الدرس، وحفظه، فيكتبه، ويكون تعويله على حفظه، فإن اضطرب عليه شيء من محفوظه رجع إلى كتابه فاستتبته منه. الفقيه والمنقذ، (944-945)(493/1-492).

5- البخاري، كتاب العلم، (47/1).

6- رواه أبو ثعلبة الخشني، t، المسند، (17767)(193/4). المعجم الكبير، (588)(221/22). قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح. مجمع الزوائد، (329/7).

7- النهاية في غريب الأثر، (209/1).

وكره الرسول ۳ التشدق، وهو تكلف السجع والتصنع فيه.⁽¹⁾ والتفهيق، وهو التوسع في الكلام وفتح الفم فيه.⁽²⁾ قال عمار بن ياسر y: أمرنا رسول الله ۳ بقصر الخطبة وكان يخطب بكلمات طيبات قليلات وقد كره التشدق والتفهيق.⁽³⁾

كما ذم الرسول ۳ افتعال حركات باللسان في أثناء الكلام، قال ۳: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرَّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةَ بِلِسَانِهَا».⁽⁴⁾

2- التعبير البليغ:

من سمات التعبير البليغ وجازة العبارة، واستعمال الفنون البلاغية، حيث تضافي على العبارات جمالاً وبهاءً، وعلى المعنى غنى وثراءً.

وإن أول ما نجده من سمة خطاب رسول الله ۳، أنه بكلمات قليلة يؤدي معاني كثيرة،⁽⁵⁾ وهي ما عبر

1- فيض القدير، (462/4).

وقيل، المُتَشَدِّقُ: المُسْتَهْزِئُ بِالنَّاسِ يَلْوِي شِدْقَهُ بِهِمْ وَعَلَيْهِمْ. النهاية في غريب الأثر، (453/2).

2- وقيل التشدق والتفهيق معناهما واحد، وهو التوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز. النهاية في غريب الأثر. (453/2) و(482/3).

3- الاستنكار، (364/2).

المتفهيقون: الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والانتساع، يقال: أفهقت الإناء ففهق يفهق فهقاً. النهاية في غريب الأثر، (482/3).

4- رواه عبد الله بن مسعود ۳، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المُتَشَدِّقِ فِي الْكَلَامِ. (5007)(459/4). والباقرة: جماعة البقر.

قال ابن الأثير: هو الذي يَشَدِّقُ فِي الْكَلَامِ وَيُفَخِّمُ بِهِ لِسَانَهُ وَيُفْهَمُ كَمَا تُفْهَمُ الْبَقْرَةُ الْكَلْبُ بِلِسَانِهَا لَفْأً. النهاية في غريب الأثر، (73/2).

وقال المناوي: (إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال) أي المظهر للتقصص نهباً على الغير ووسيلة إلى الاقتدار على تعظيم صغير أو تحقير عظيم (الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها) أي الذي يتشدد بلسانه كما تتشدد البقرة ووجه الشبه إدارة لسانه حول أسنانه حال كلامه كفعل البقرة حال الأكل. التيسير بشرح الجامع الصغير، (540/1).

5- قال العقاد رحمه الله تعالى: أقوى الإبلاغ في كلام النبي ۳ اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار، بل اجتماع العلوم الواقعة في بضع كلمات وقد بسطها شارحون في مجلدات. عبقريّة محمد ۳. (ص88).

قال الجاحظ: وأنا ذاكرٌ بعد هذا فناً آخرٌ من كلامه ۳ وهو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: (وما أنا من المتكلمين) فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد خف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويُسّر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وعشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبيّن حُسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معارذته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفضمه خطيب، بل بيذ الحظب الطوال بالكلم القصار ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلافة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يُنطِئ ولا يُعجل، ولا يُسهب ولا يُخصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ۳ كثيراً. البيان والتبيين، (ص121).

عنه ٣، بقوله: «أوتيت جوامع الكلم»⁽¹⁾.

كما أنه ٣ تفنن في استخدام الصور البلاغية، من ذلك قوله ٣: «أنا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قالوا بلى يا رسول الله قال البشرك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكناً فقال أيا وقول الزور قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»⁽²⁾.

حيث بدأ رسول الله ٣ حديثه بالاستفهام: (ألا أنبئكم)، لما يحدثه من تنبيه الحواس وإيقاظ الملكات، ثم اتبعه بتحذير مجمل: «بأكبر الكبائر» لما يمنحه من مهلة يحصل خلالها التهيو، ثم التفصيل: «البشرك بالله...»، وذلك بعد أن تم الاستعداد، مع استعمال أسلوب التكرار: «ثلاثاً - فما زال يكررها»؛ لما له من أثر في التأكيد والتنفير.⁽³⁾

3- حُسن الإجابة:

من النباهة تخير الأسلوب الأمثل في الإجابة، تبعاً للحال، فقد يقتضي الأمر أن تكون الإجابة أكثر من قدر السؤال، أو تكون عكس المسؤول عنه، أو بتوجيه السائل إلى أعم ما سأل عنه... تحقيقاً لفائدة أعظم أو معنى أهم.

فعندما سأل رجل رسول الله ٣: «أفتتوضأ من ماء البحر؟»، أجابه ٣، بقوله: «هو الطهور ماؤه، الحل مبيته»⁽⁴⁾. فقوله: «الحل مبيته»، زيادة عن قدر السؤال أوتي بها للحاجة إليها.

1- البخاري، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد. (6611) (2573/6). مسلم، واللفظ له كتاب المساجد، باب منه. (1199) (64/2).

2- رواه أبو بكر t، البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، (2460). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، (136).

3- قال الحافظ ابن حجر: وكرره تأكيداً لينتبه السامع على إحضار فهمه. فتح الباري، (262/5).

4- رواه أبو هريرة t، أخرجه الأربعة، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر، (64)، سنن النسائي (59)، سنن أبي داود (76)، سنن ابن ماجه، (380).
قال الرافعي: لما عرف ٣ استنباه الأمر على السائل في ماء البحر أشفق أن يشبهه عليه حكم مبيته، وقد بينى بها راكب البحر فعقب الجواب عن سؤاله ببيان حكم المبيته. وقال غيره: سأله عن مائه فأجابه عن مائه وطعامه؛ لعلمه بأنه قد يعوزهم الزاد فيه كما يعوزهم الماء فلما جمعتهما الحاجة انتظم الجواب بهما. وقال ابن العربي: وذلك من محاسن الفتوى أن يجاء في الجواب بأكثر مما يسأل عنه تنميماً للفائدة وإفادة لعل آخر غير مسؤول عنه. تحفة الأحوذى، (188/1).

وعندما سُئِلَ ۳ عما بلبس المحرم، بيّن ما لا يجوز لبسه، عن ابن عمر ۷: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ۳ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ: «لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرْنُسَ وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرَسُ أَوْ الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكُعْبِيِّينَ»»⁽¹⁾

ومثله التوجيه إلى ما ينبغي بذل الجهد فيه، وصرف الاهتمام إليه، فحينما سأل رجل رسول الله ۳ عن وقت قيام الساعة، وجهه ۳ إلى ما هو أجدى وأولى، وهو الإعداد لها، عن أنس ۳: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ۳ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أَحْبَبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»»⁽²⁾

المبحث الثاني: الاتصال البصري

يأتي الاتصال البصري بعد الاتصال السمعي في المرتبة، إلا أنه لا يقل عنه فاعلية، فإذا كانت الأذن أداة تلقي الصوت، فالعين أداة تلقي الصورة، وإذا اتحدت الصورة مع الصوت كان الأثر أقوى. وبمقدار تفعيل جوانب الاتصال البصري تكون الفائدة أكبر، ويمكن تجلية المنهج النبوي في الاتصال البصري في النقاط الآتية:

1- التقابل والإقبال:

المراد من التقابل: مواجهة المعلم والمتعلم بعضهم بعضاً، بحيث تتقابل الوجوه وتتلقى العيون، مما يجعل الأثر أبلغ؛ لما ينتج عنه من تفاعل جميع الملكات وانفعالها.

وقد وصف الله ۷ حسن إقبال الرسول ۳، بقوله: (مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى) [النجم: 17]⁽³⁾. قال ابن القيم: وفي هذه الآية أسرار عجيبة، وهي من غوامض الأدب الثلاثة بأكمل البشر، تواطأ هناك بصره

1- البخاري، كتاب العلم، باب مَنْ أَجَابَ السَّائِلَ بِكَثْرٍ مِمَّا سَأَلَهُ (131)، مسلم، كتاب الحج، باب ما يلبس المحرم، (2012). قال الإمام النووي، قال العلماء: هذا من بدع الكلام وجزله فإنه ۳ سئل عما يلبسه المحرم فقال لا يلبس كذا وكذا، فحصل في الجواب أنه لا يلبس المذكورات ويلبس ما سوى ذلك، وكان التصريح بما لا يلبس أولى؛ لأنه منحصر، وأما الملبوس الجائز للمحرم فغير منحصر، فضبط الجميع بقوله ۳: لا يلبس كذا وكذا، يعني ويلبس ما سواه. شرح النووي على صحيح مسلم، (73/8).

2- البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ۳، باب مناقب عمر بن الخطاب ۳. (3485) (1349/3). مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب المرأة مع من أحبب. (6878) (42/8).

3- قال ابن القيم: إن هذا وصف لأدبه "في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت جانباً، ولا تجاوز ما رآه، وهذا من كمال الأدب والإخلاق به أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام المنظور؛ فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان ومجاوزة؛ فكمال إقبال الناظر على المنظور ألا يصرف بصره عنه يمنة ولا يسرة، ولا يتجاوز. مدارج السالكين لابن القيم، (261/2).

وبصيرته، وتوافقاً، وتصادقاً فيما شاهده بصره؛ فالبصيرة مواطنة له، وما شاهدته بصيرته فهو حق مشهودٌ بالبصر؛ فتواطأ في حقه مشهد البصر والبصيرة. ولهذا قال ا: (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) [النجم 11-12]⁽¹⁾، أي ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره.⁽¹⁾

قال ابن عباس لا: لجلسي عليّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له في المجلس إذا جلس، وأن أصغي إليه إذا تحدث.⁽²⁾

وقال أبو سعيد الخدريّ t: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمُنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ». وترجم البخاري للحديث، بقوله: باب يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ الْقَوْمَ وَاسْتَقْبَالَ النَّاسِ الْإِمَامَ إِذَا خَطَبَ.⁽³⁾ ووجه دلالة الحديث على الترجمة: أن جلوسهم حوله لسماع كلامه يقتضي نظرهم إليه،⁽⁴⁾ وهو عين الاستقبال،⁽⁵⁾ وفائدته: حصول التهيؤ قبل الشروع بالكلام.⁽⁶⁾

وأكثر الرسول ﷺ على أصحابه جلوسهم متفرقين: «مَا لِي أَرَأَكُمْ عَزِينَ».⁽⁷⁾ وترجم الإمام البخاري للحديث بقوله: باب الْحَلْقِ وَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ.⁽⁸⁾

1- كما أضاف: وهذا غاية الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عال رفيع أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه وفوقه؛ ألا ترى أن موسى لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الروية ؟ ونبينا لما أقيم في ذلك المقام وفاه حقه؛ لم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير مايقم فيه البيت. مدارج السالكين، (362/2).

2- عيون الأخبار، (306/1).

3- البخاري، كتاب الجمعة، (312/1)(879). مسلم، كتاب الزكاة، باب تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا. (101/3)(2470).

4- فتح الباري، (402/2).

5- عمدة القاري، (220/6).

6- قال الحافظ ابن حجر: ومن حكمة استقبالهم للإمام، التهيؤ لسماع كلامه وسلوك الأدب معه في استماع كلامه، فإذا استقبله بوجهه وأقبل عليه بجسده ويقبله وحضور ذهنه، كان أدعى لتفهم موعظه وموافقته فيما شرع له القيام لأجله. فتح الباري، (402/2).

7- قال جابر بن سمرة t: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ وَهُمْ حَلَقٌ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَأَكُمْ عَزِينَ». قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يُرِيدُ فِرْقًا مُخْتَلِفِينَ لَأَ يَجْمَعَكُمْ مَجْلِسٌ وَاحِدٌ. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فِي التَّحَلُّقِ، (673/2)(4823). قال المنذري: أخرجه مسلم بمعناه وأتم منه. عون المعبود، (119/13). انظر صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الْأَمْرُ بِالسُّكُونِ فِي الصَّلَاةِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَرَفْعِهَا عِنْدَ السَّلَامِ وَإِتِمَامِ الصُّلُوفِ الْأُولَى وَالتَّرَاصُّ فِيهَا وَالْأَمْرُ بِالْإِجْتِمَاعِ، (996)(29/2).

8- أخرج في الباب حديث النفر الثلاثة، عن أبي وأقد الليثي t قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَأَقْبَلَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فَجَلَسَ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الثَّلَاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَرَى إِلَى اللَّهِ، فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ». البخاري، كتاب العلم، (462)(180/1).

قال الحافظ ابن حجر: فِي الْحَدِيثِ فَضْلُ مَلَازِمَةِ حَلْقِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ وَجُلُوسِ الْعَالِمِ وَالْمُنْذَرِ فِي الْمَسْجِدِ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْمُسْتَحْيِ. وَالْجُلُوسِ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ. فتح الباري، (157/1).

والتوجه إلى المعلم يوجد شعوراً من المهابة ويعمل على شد الانتباه، وهذا ادعى للقبول وأفيد للتلقي، قال أسامة بن شريك t: أتيت رسول الله r، وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير.⁽¹⁾

كما أنه يعين في متابعة أحوال المتلقين، فينبه من قصر ويوجه من أخطأ. قال جابر بن عبد الله y: «جاء رجل والنبي r يخطب الناس يوم الجمعة فقال: أصليت يا فلان؟ قال لا، قال قم فاركع».⁽²⁾

ومما ينبغي مراعاته حضور المتلقين قبل وصول المعلم، فإذا حضر خلوا أنفسهم من جميع الأعمال وانصرفوا إليه، عن نافع، أن ابن عمر كان يفرغ من سبخته⁽³⁾ يوم الجمعة قبل خروج الإمام، فإذا خرج لم يقعد الإمام حتى يستقبله.

وكان أنس بن مالك إذا أخذ الإمام في الخطبة يوم الجمعة يستقبله بوجهه حتى يفرغ الإمام من الخطبة.⁽⁴⁾

وقوف المعلم في مكان مرتفع:

كي يتحقق التقابل وتحصل المشاهدة، ينبغي وقوف المعلم في مكان مرتفع. قال عبد الله بن عمرو y: «وقف رسول الله r على ناقته في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه».⁽⁵⁾

وقال ابن عمر y: «كان رسول الله r يعلم الناس التشهد على المنبر، كما يعلم المكتب الغلمان».⁽⁶⁾ ولهذه الغاية اتخذ رسول الله r منبراً يخطب عليه، قال سهل بن سعد الساعدي: أرسل رسول الله r

1- السنن الكبرى للنسائي. (5875) (443/3).

2- صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين. (315/1)(888)، مسلم، باب التحيّة والإمام يخطب، (2055) (14/3).

3- يفرغ من سبخته: أي من صلاة النافلة. قال ابن الأثير: وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركها الفريضة في معنى التسبيح؛ لأن التسبيحات في الفرائض نوافل فليل لصلاة النافلة سبحة لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة. النهاية في غريب الأثر، (313/2).

4- فتح الباري، لابن رجب، (476/5)، فتح الباري لابن حجر، (402/2). عمدة القاري، (219/6).

5- البخاري، كتاب العلم، باب الفتيان وهو واقف على الدابة وغيرها. (81)، وكتاب الحج، باب الفتيان على الدابة عند الجمرة، (1622). مسلم، بلفظ: (على راحلته)، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، (2302).

6- الفقيه والمتفقه، (931)(488/1). قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبه وهو ضعيف. مجمع الزوائد، (2845) (167/2). ورواه أبو داود الطيالسي، قال البوصيري: هذا حديث رجاله ثقات. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، (2/1363) (64/2).

إِلَى فُلَاتَةَ امْرَأَةٍ «أَنْ مَرَى غُلَامَكَ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ». فَأَمَرَتْهُ فَعَمَلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ... (1)

أما الإقبال، فهو توجه المعلم إلى المخاطبين جميعاً إن كانوا جماعة، وإلى الفرد إن كان وحيداً. وهذا يستدعي مراعاة الشعور النفسي للمتلقين، وذلك بالإقبال عليهم جميعاً والتسوية بينهم في النظر إليهم، ومن الخطأ الفادح أن يخص المعلم فرداً أو مجموعة بالإقبال إليهم وتجاهل الآخرين، مما يوغر الصدور، ويثير البغضاء، وينمي الشعور بالنقص وعدم الأهمية.

قال حبيب بن أبي ثابت: من السنة إذا حدثت القوم أن يقبل عليهم جميعاً. وقال: كانوا يحيون إذا حدثت الرجل لا يقبل على الرجل الواحد، ولكن ليعمهم. (2)

ولا يخفى الأثر النفسي للإقبال أو التجاهل، فالإقبال يمنح المخاطب إحساساً بأن له منزلة عند من يخاطبه، وهذا يعطي مزيداً من الثقة وشعوراً بالراحة، بالمقابل ينتج عن التجاهل شعور بالوحشة والإحساس بالدونية. فهذا عمرو بن العاص t دفعته رحابة صدر الرسول r وإقباله عليه عند ملاقاته له إلى أن يظن نفسه أنه أفضل الصحابة إطلاقاً، قال عمرو بن العاص t: كان رسول الله r يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك وكان يقبل بوجهه وحديثه علي حتى ظننت أني خير القوم. (3)

2- تعابير الوجه:

للوّجه تعابير لها دلالات معبرة من الرضا أو الغضب، والقبول أو الرفض... تترك أثراً في نفوس الناظرين، فالابتسامة والبشاشة تدفعان إلى الإقبال والإقدام، أما التجهم والغضب فيدفعان إلى الإحجام والإعراض...

أ- التبسم وطلاقة الوجه:

للابتسامة أثر كبير في النفس، ودور مهم في التوجيه. فالحديث الذي تخالطه ابتسامة، أوقع في النفس وأدعى للقبول منه إذا رافقه تجهم وداخله عبوس.

1- البخاري، كتاب المساجد، باب الخطبة على المنبر، (122/1). مسلم، كتاب الصلاة، (1244)(74/2).

2- شرح التبصرة والتذكرة، (ص179).

3- وتمة الحديث: فقلت يا رسول الله: أنا خير أم أبو بكر؟ قال أبو بكر، قلت يا رسول الله: أنا خير أم عمر؟ قال: عمرو، قلت: يا رسول الله أنا خير أم عثمان؟ قال: عثمان، فلما سألت رسول الله r فوددت أني لم أكن سألته. الشمائل المحمدية للترمذي، (339) (386/1) قال الهيثمي: في الصحيح بعضه بغير سياقه، رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد، (300/8).

قال ابن الجوزي: والتبسم من المعروف؛ لأن الإنسان ينتفع بذلك كما ينتفع بسائر المعروف⁽¹⁾.
وقالت أم الدرداء: «كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه فقلت له إني أخشى أن يحمقك
الناس فقال كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم»⁽²⁾.
ولقاء الناس بطلاقة الوجه من شيم الفضلاء وأخلاق النبلاء، وهو ينافي الكبر ويكون سبباً للمودة⁽³⁾.
قال جرير بن عبد الله: «ما حببني النبي ﷺ منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسم في وجهي»⁽⁴⁾.
وقد تكون الابتسامة تعبيراً عن الرضا والقبول، قال أنس t: «كشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحَجْرَةِ يَنْظُرُ
إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَّةٌ مُصْحَفٌ، ثُمَّ تَبَسَّمَ بِصُحُفِكَ»⁽⁵⁾.
وقد تحمل البسمة في طبائها عتاباً، فيكون أثرها أبلغ من صريح القول، قال كعب بن مالك t في
قصة تخلفه عن تبوك: «فَجِئْتُه فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى
جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي مَا خَلَقَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟»⁽⁶⁾.
وكان رسول الله ﷺ يتلقى من يأتيه متعلماً بالترحيب، قال صفوان بن عسال t: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَهُوَ مُتَكِّيٌّ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بُرْدٍ لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا
بِطَالِبِ الْعِلْمِ، طَالِبِ الْعِلْمِ لِحَقِّهِ الْمَلَائِكَةُ وَتُظَلُّ بِأَجْنَحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ، فَمَا جِئْتَ تَطْلُبُ؟»⁽⁷⁾.

- 1- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي. (245/1).
- 2- المسند، (21783)(199/5). قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه حبيب بن عمر، قال السدراقطني: مجهول.
مجمع الزوائد. باب في طالب العلم وإظهار البشر له. (157/1)(549).
- 3- شرح ابن بطلال. (193/5).
- 4- البخاري، كتاب الأدب، باب التَّبَسُّمِ وَالضُّحُكِ. (2260/5)(5739).
- 5- وذلك حينما كان أبو بكر t يصلي إماماً بالمسلمين في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم
صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ... البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة. (240/1)(648). مسلم،
كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له غرض من مرض وسفر وغيرهما من يصلى بالناس. (971) (24/2).
- قال الإمام النووي: سبب تبسّمه ﷺ فرحه بما رأى من اجتماعهم على الصلاة، واتباعهم لإمامهم، وإقامتهم شريعتهم، واتفاق كلمتهم
واجتماع قلوبهم، ولهذا استنار وجهه ﷺ على عادته إذا رأى أو سمع ما يسره يستبشر وجهه. شرح النووي على مسلم. (142/4).
- 6- البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك. وقول الله ﷻ: (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) (1603/4)(4156). مسلم،
كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (2769) (2120/4).
- 7- المعجم الكبير، (7347)(54/8). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد. باب في طالب العلم وإظهار البشر له.
(157/1) (450).

ب - ظهور ملامح الغضب على الوجه:

قد يتم التعبير عن الغضب أو عدم الرضا بالاعتراض الإيجابي أو السلبي، يكون الأول بالقيام بعمل، و يكون الثاني بالإعراض أو ظهور الأثر في الوجه. وربما كان الاعتراض السلبي أبلغ في التعبير من الاعتراض الإيجابي.

قَالَتُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَفِي النَّبِيِّ قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ...»⁽¹⁾.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ t أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ اللَّقْطَةِ قَالَ: «عَرَفَهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِعَفَاصِهَا وَوِكَانِهَا وَإِنَّا فَاسْتَنْقَفْنَا بِهَا وَسَأَلْتُهُ عَنْ ضَالَّةِ الْبَابِلِ فَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ وَقَالَ مَا لَكَ وَلَهَا»⁽²⁾.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ t: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خَدْرِهَا وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفَ فِي وَجْهِهِ»⁽³⁾.

3- إحياءات الجسد:

يحمل جسد الإنسان مشاعر وأحاسيس، يتفاعل مع ما يحيط فيه وينفعل به، فلحركة إحياءاتها، ولإشارة دلالاتها، ولإيماء معانيه. فقد تعني أمراً أو نهياً، أو تكون جواباً عن سؤال، أو تعبيراً عن فكرة، أو للدلالة على معنى، أو لإثارة الانتباه، أو لبيان مقدار من حجم أو كمية أو مدة...

أ - الإشارة باليد:

إن المعنى المؤدى بالإشارة باليد أسرع وصولاً من المعنى المؤدى بغيره، واستخدام الرسول ﷺ هذه الأسلوب في التعبير في مواقف مختلفة ومواضع متعددة، وترجم الإمام البخاري لأحاديث علقها، بقوله: باب الإشارة في الطلاق والأمور.

1- البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، (5644)، مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب بآب تحريم تصوير صورة الحيوان، (3936).
2- وتتم الحديث: «معها سقاؤها وحذاؤها تزد الماء وتاكل الشجر دغها حتى يجدها ربها وسأله عن ضاللة الغنم فقال هي لك أو لأخيك أو للذئب». البخاري، كتاب اللقطة، باب من عرف اللقطة ولم يدفعها للسلطان، (2258).
3- البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، (3298) مسلم، كتاب الفضائل، (4284).

فمن أجل بيان عظم جرم اللسان أو عظيم ثوابه، أشار النبي ﷺ إليه دون أن يذكره؛ حيث قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحَزَنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، أَوْ يَرْحَمُ»⁽¹⁾.

ومن أجل بيان المقدار أو الكمية أشار الرسول ﷺ بيده الشريفة، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ «أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَيِّ خَذِ النَّصْفِ»⁽²⁾.

وعندما هم أبو بكر t بالتأخر عن موقع الإمامة، قَالَ أَنَسٌ t: «أَوْمَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ»⁽³⁾.

وعندما سأله من قدم الذبح على الرمي مخالفاً الترتيب في مناسك الحج: «أَوْمَأَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ لَا حَرَاجَ»⁽⁴⁾.

وقد تقوم الإشارة مقام الفعل في حمل المسؤولية، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّيْدِ لِلْمُحْرِمِ: «أَحْذِ مِنْكُمْ أَمْرَهُ أَنْ يَحْمَلَ عَلَيْهَا أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا، قَالُوا لَا، قَالَ فَكُلُوا»⁽⁵⁾.

1- البخاري، كتاب الجنائز، باب النكاء عند المبريض (1242/439/1)، مسلم، كتاب الجنائز، باب النكاء على الميت (924/636/2).

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: فَصَحَّ أَنَّ النِّكَاءَ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْإِنْسَانُ مَا كَانَ مِنْهُ بِاللِّسَانِ، إِذْ يَنْدُبُونَهُ بِرِيسَاتِهِ الَّتِي جَارَ فِيهَا، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي صَرَفَهَا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَجُودِهِ الَّذِي لَمْ يَضَعْهُ فِي الْحَقِّ، فَأَهْلُهُ يَنْكُرُونَ عَلَيْهِ بِهِذِهِ الْمَقَاخِرِ وَهُوَ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ. وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُغَيِّرُونَ وَيَسْتُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا مَاتَ بَكَتَهُ بَاكِتِيهِ بِنَتِكَ الْأَفْعَالِ الْمُحْرَمَةِ، فَمَعْنَى الْخَيْرِ أَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ بِهِ، لِأَنَّ الْمَيِّتَ يُنْدَبُ بِأَحْسَنِ أَفْعَالِهِ، وَكَانَتْ مَخَاسِنُ أَفْعَالِهِمَا مَا ذُكِرَ، وَهِيَ زِيَادَةُ ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ عَلَيْهَا. فَتَحَ الْبَارِي. (155/3).

2- أَخْبَرَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَزْرَدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سَجْفَ حَجْرَتِهِ وَنَادَى: «يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، يَا كَعْبُ، قَالَ لَيْتَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعَّ الشُّطْرَ مِنْ دَيْتِكَ. قَالَ كَعْبٌ قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمُ فَاقْضِهِ». الْبُخَارِيُّ كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسْجِدِ. (179/1)(459).

3- البخاري، كتاب فضل الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة. (241/1)(649).

4- رواه ابْنُ عَبَّاسٍ y، الْبُخَارِيُّ، بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفَتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ. كِتَابُ الْعِلْمِ، (84)(44/1).

5- الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الْإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالْأُمُورِ. (2027/5).

وَقَالَ بَرِيدَةُ t: أَتَيْتُنَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَأَشَارَ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ اجْلِسُوا». الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ. (22/2)(1160). وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثُرَ فِي صَلَاةٍ مِنْ الصَّلَوَاتِ ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ أَنْ امْكُتُوا فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ وَعَلَى جِلْدِهِ أَثَرُ الْمَاءِ الْمَوْطَأِ، (153)(66/2).

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ t: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ ثُمَّ يَشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَيَقُولُ: النَّقْوَى هَاهُنَا النَّقْوَى هَاهُنَا». الْمَوْطَأُ، (153)(66/2).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ t، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ». وَقَالَ بِيَدِهِ، وَوَضَعَ أَمَلْتَهُ عَلَى بَطْنِ الْوَسْطَى وَالْخَنْصِرِ. فَلَمَّا يَزْهَدُهَا. الْبُخَارِيُّ كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الْإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالْأُمُورِ. (2029/5)(4988) صَحِيحُ مُسْلِمٍ كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، (2007)(5/3).

والرسول r، شرح معنى كلمة بإشارة من يده، فحينما قيل له: «وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ». (1)

ب - الإشارة بالأصابع:

وكما أن للإشارة باليد دلالات، فإن للإشارة بالأصابع أيضاً دلالات، من ذلك إثارة الخيال، وتصوير الأشياء، والتعبير عن معنى، كالتقريب أو الاقتران أو المقدار...

فمن أجل تصوّر قرب اليوم الآخر، ونسبة ما مضى من عمر الدنيا إلى ما بقي منها، أشار r بإصبعيه، قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ - أَوْ كِهَاتَيْنِ - وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى». (2)

قال العيني: شبه ما بقي من الدنيا إلى قيام الساعة مع ما انقضى بقدر ما بين السبابة والوسطى من التفاوت. (3)

ومن أجل تخيل المكانة التي يتبوؤها من كفل يتيماً أو عال جاريتين، قال r: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى». (4) وقال أيضاً: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ، وَصَمَّ أَصَابِعُهُ». (5)

وعندما أراد أن يبين مقدار ما فُتِحَ من ردم يأجوج ومأجوج، قال r: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا». (6)

1- عن أبي هريرة t قَالَ النَّبِيُّ r: «يَقْبِضُ الْعِلْمَ، وَيَطْهَرُ الْجَهْلَ وَالْفِتْنَ، وَيَكْثُرُ الْهَرَجُ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرَجُ؟ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ». البخاري كتاب العلم، باب مَنْ أَجَابَ الْفَتْنَةَ بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ. (85)(44/1).

2- رواه سنن ابن سعد الساعدي t، البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، (4889). مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (5244).

3- عمدة القاري، (53/5).

4- عن سنن ابن سعد t، البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، (5546)، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في من ضم اليتيم. (4483). والإشارة لبيان شدة قرب منزلة كافل اليتيم من منزلة كافل اليتيم في الجنة، أو إشارة إلى سرعة دخول الجنة. عون المعبود، (41/14).

5- رواه أنس بن مالك t، مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، (4765)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، (1837).

6- دخل رسول الله r على زينب ابنة جحش يوماً فرأى يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ...». البخاري، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج. (6716) (2609/6).

ج - الإماء بالرأس:

ومن إحياءات الجسد، الإماء بالرأس تعبيراً عن القبول أو الرفض، وقد ترجم الإمام البخاري في كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس. فالإشارة تقوم مقام التصريح وخاصة عند تعذر النطق حقيقة أو حكماً، عن أنس t: «أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجْرَيْنِ، فَقِيلَ لَهَا مَنْ فَعَلَ بِكَ ؟ أَفُلَانٌ أَوْ فُلَانٌ ؟ حَتَّى سَمِيَ الْيَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَجِئَ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَفَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَضَ رَأْسَهُ بِالْحِجَارَةِ»⁽¹⁾.

وَقَالَتْ أَسْمَاءُ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ فِي الْكُسُوفِ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: مَا شَأْنُ النَّاسِ وَهِيَ تُصَلِّي، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الشَّمْسِ، فَقُلْتُ آيَةَ فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا أَنْ نَعَمْ.⁽²⁾

د - التحول وتغيير الهيئة:

ومن إحياءات الجسد التحول في أثناء الخطاب من هيئة إلى أخرى؛ للإشارة إلى الأهمية وإثارة الانتباه، مما لا يتحقق في الثبات على هيئة واحدة أو الالتزام بأسلوب معين. ففي حين كان الرسول ﷺ يعدد الكبائر، وقبل أن يذكر شهادة الزور، غيّر جلسته: (وكان متكئاً فجلس)، وفي هذا إحياء إلى أن ما سيذكره له أهمية بالغة، مما يستدعي التهيؤ لاستقبال الخبر بكامل القوى.

قال الحافظ ابن حجر: يُشْعِرُ بَأَنَّهُ إِهْتَمُّ بِذَلِكَ حَتَّى جَلَسَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَكِنًا وَيُقِيدُ ذَلِكَ تَأَكِيدَ تَحْرِيمِهِ وَعَظْمَ قُبْحِهِ.⁽³⁾

هـ الإعراض للتعبير عن عدم الرضا:

قد يكون التعبير عن عدم الرضا بلسان الحال أبلغ من التعبير بلسان المقال، عن أنس بن مالك t: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فَرَأَى قُبَّةً مُشْرِفَةً، فَقَالَ مَا هَذِهِ ؟ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ هَذِهِ لِفُلَانٍ - رَجُلٍ مِنْ

1- البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا أومأ المريض برأسيه إشارة بيّنة جازت. (2595) (1008/3).

2- البخاري كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس. (86) (44/1). مسلم، كتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار. (905) (624/2).

3- وأضاف: وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن البئسراك يئو عنه قلب المسلم والعقوف يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة، كالدعوة والحسد وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من البئسراك قطعاً بل لكونه مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً. فتح الباري، (263/5).

الأنصار - قَالَ فَسَكَتَ وَحَمَلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ فِي النَّاسِ أَعْرَضَ عَنْهُ، صَنَعَ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى عَرَفَ الرَّجُلُ الْغَضَبَ فِيهِ وَالْإِعْرَاضَ عَنْهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُنْكِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا خَرَجَ فَرَأَى قَبْتِكَ. قَالَ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى قَبْتِهِ فَهَدَمَهَا حَتَّى سَوَّاهَا بِالْأَرْضِ»⁽¹⁾.

4- البيان بالفعل:

يعدُّ البيان بالفعل من أهم أساليب التعليم، خاصة في الأمور التي فيها جانب عملي، وهو أبلغ من أي كلام تنظيري أو بيان تفصيلي، كما أنه أَدْعَى للمتابعة وحسن الأداء. ويشمل البيان بالفعل: التطبيق والتدريب والتمثيل.

ونجد في سنة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه أمثلة كثيرة، من ذلك:

تأديته ﷺ الصلاة على المنبر؛ ليرى أصحابه الكيفية التي تؤدي بها، قال سهيل بن سعد الساعدي t: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَيْهَا، وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمَنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَعَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِنَاتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي»⁽²⁾.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه جواز قصد تعليم المؤمنين أفعال الصلاة بالفعل، واستحباب اتخاذ المنبر؛ لكونه أبلغ في مشاهدة الخطيب والسماع منه⁽³⁾.

1- وتتمة الحديث: «فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها، قال: ما فعلت القبة قالوا شكنا إنيأ صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إن كل بناء وبنا على صاحبه إلا مالا إلا مالا، يعني مالا بدمه». سنن أبي داود كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء. (5237) (360/4).

وقال أبو سعيد الخدري t: «أقبل رجل من البحرين إلى النبي ﷺ فسلم فلم يرد عليه، وكان في يده خاتم من ذهب وجبته حريير، فألقاهما ثم سلم فرد عليه السلام، ثم قال يا رسول الله: أتيتك أنفا فأعرضت عني، فقال: إنه كان في يدك جمرة من نار». سنن النسائي، كتاب الزينة، باب لبس خاتم صفر. (5221) (557/8).

2- عن أبي حازم ابن دينار: «أن رجلاً أتوا سهيل بن سعد الساعدي وقد امتمروا في المنبر مم عوده فسألوه عن ذلك... قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار: مري غلامك النجار أن يعمل لي أعواداً أجلس عليها إذا كلمت الناس فأمرته فعملها من طرفاء الغاية ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأمر بها فوضعت ها هنا ثم رأيت رسول الله ﷺ...». البخاري، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر. (875) (310/1). مسلم، كتاب المساجد، باب باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة. (847).

3- فتح الباري، (400/2).

كما طبق عملياً كيفية إزالة النخامة من المسجد، عن أنس t: كما طبق عملياً كيفية إزالة النخامة من المسجد، عن أنس t: «أَنَّ النَّبِيَّ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَ بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَبْرُقَنَّ أَحَدَكُمْ قَبْلَ قِبَلْتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا»⁽¹⁾.

قال الحافظ: فيه البيان بالفعل ليكون أوقع في نفس السامع⁽²⁾.

ودعا عثمان بن عفان t بوضوء فتوضأ، وبعد أن فرغ منه، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»⁽³⁾.

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث التعليم بالفعل؛ لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم⁽⁴⁾.

كما استعمل الرسول r أسلوب التدريب العملي؛ لأنه أوقع في النفس وأرسخ في الذهن، فعندما سأله رجل عن مواقيت الصلاة، أمره أن يقيم معهم لبيّن له عملياً المواقيت، وفي نهاية اليوم الثاني، قال r: «أَيُّنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ»⁽⁵⁾.

كما قام الرسول r بالتمثيل لبيان طريقة التنفيذ، قال جبير بن مطعم t: نَكَرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ r الغُسلَ مِنَ الْجَنَابَةِ فَقَالَ أَمَا أَنَا فَأَفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثًا ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَفِيضُ بِهِمَا عَلَى الرَّأْسِ»⁽⁶⁾.

1- البخاري كتاب الصلاة، باب حكّ البُرَاقِ بِالْيَدِ مِنَ الْمَسْجِدِ. (397) (159/1).

2- فتح الباري، (509/1).

3- البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثاً، (155)، مسلم، كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكمالها، (331).

4- فتح الباري، (261/1).

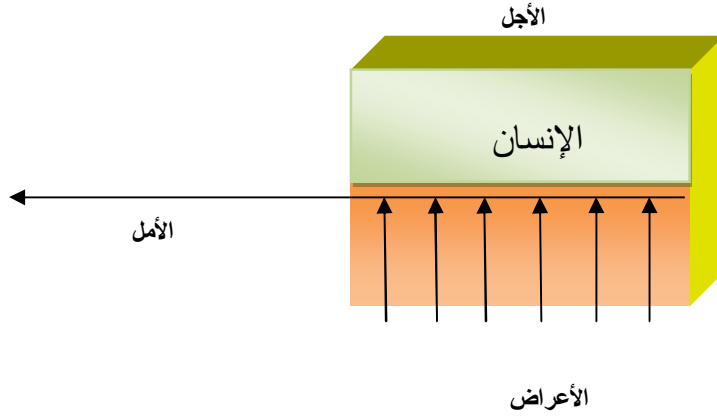
5- قال بريدة بن الحصيب: «أتى النبي r رجل فسأله عن مواقيت الصلاة فقال أقم معنا إن شاء الله فأمر بلالاً فأقام حين طلعت الفجر ثم أمره فأقام حين زالت الشمس فصلى الظهر ثم أمره فأقام فصلى العصر والشمس بيضاء مرتفعة ثم أمره بالمغرب حين وقع حاجب الشمس ثم أمره بالعشاء فأقام حين غاب الشفق ثم أمره من الغد فنور بالفجر ثم أمره بالظهر فأبرد وأنعم أن يبرد ثم أمره بالعصر فأقام والشمس آخر وقتها فوق ما كانت ثم أمره فأخر المغرب إلى قبيل أن يعيب الشفق ثم أمره بالعشاء فأقام حين ذهب ثلث الليل ثم قال أيّن السائل...». مسلم، كتاب المساجد، باب أوقات الصلوات الخمس، (1422) (105/2). سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب منه، (140) (286/1).

6- مصنف عبد الرزاق، (995) (260/1). المعجم الكبير. (1480) (112/2).

5- الرسم التوضيحي:

استخدم رسول الله ﷺ في أكثر من موقف الرسوم التوضيحية، ولا تخفى فائدتها في التوضيح وترسيخ المعنى وتصوير المسألة.

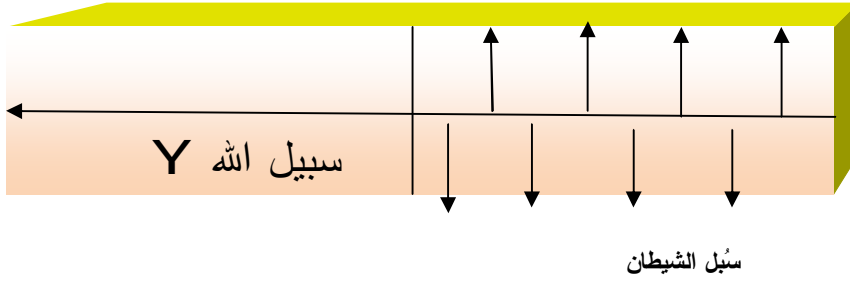
من ذلك ما رواه عبدالله بن مسعود t، قال: «خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مَرَبَعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خَطًّا صَغِيرًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ وَقَالَ هَذَا الْبِئْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ وَهَذِهِ الْخُطُّ الصَّغِيرُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»⁽¹⁾.



وعنه t قال: «خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا بِبَيْدِهِ ثُمَّ قَالَ هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا قَالَ ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ هَذِهِ السُّبُلُ وَلَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»⁽²⁾. [الأنعام 153].

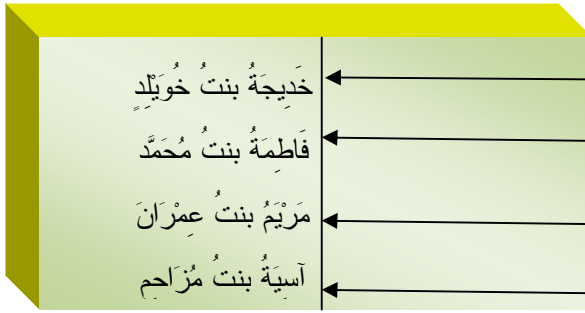
1- البخاري، كتاب الرقائق، باب في الأمل وطوله. (6054).

2- المسند، مسند عبدالله بن مسعود، (4142) (435/1).



وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ Y: حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ r فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَحْطَطُ، ثُمَّ قَالَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ r: أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُرَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنِ. (1)

أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ



الخاتمة:

تبين من ثنايا البحث أنه في المنهج النبوي في التربية فُعل الاتصال السمعي والبصري بمختلف الصور، وعلى أكمل وجه، وأحسن أداء، وذلك وفقاً للموقف أو تبعاً للحال، باختيار الأسلوب الأمثل، والوسيلة الأنجع، والطريق الأبين، بدءاً من تفعيل دور الصوت وحسن الأداء وبلاغته... هذا في الاتصال السمعي، إلى التقابل والإقبال، وتعابير الوجه، وإحساءات الجسد... انتهاء بالرسم التوضيحي، في الاتصال البصري.

1 - المعجم الكبير للطبراني، (11760)(30/10).

المراجع

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن، (1420 - 1999).
- إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ت: القاضي حسين بن أحمد السياغي ود. حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1986م).
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار الفكر، دمشق.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر النمري القرطبي، ت: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2000م).
- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، (1973م).
- البحر المحيط في أصول الفقه. محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421 - 2000).
- البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، ت: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، (1968م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأحمدي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: د. محمد رضوان الدايدة، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، (1410هـ).
- التيسير بشرح الجامع الصغير، الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، (1408هـ - 1988م).
- الجامع الصحيح، البخاري، ت: د. مصطفى البيغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط3، (1406 - 1987).
- الجامع الكبير، جلال الدين السيوطي، جمع وترتيب: عباس احمد صقر. أحمد عبد الجواد، دار المنار.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي. ت: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، (1403-1983).
- حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، (1420هـ-1999م).
- سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت: أحمد شاكر وآخرون.
- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ت: خالد العلمي وزميله، ط/1، (1407هـ).
- سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- السنن الكبرى للبيهقي، ت: عبدالقادر عطا مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (1414هـ-1994م).
- سنن النسائي الكبرى ت: د. عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، (1411-1991).
- سنن النسائي (المجتبى)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط/2.
- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، ط/9، (1413 - 1993).
- شرح ابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، ت: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط/2، (1423 - 2003).
- شرح التبصرة والتذكرة، ت: د، ماهر ياسين فحل، مكتبة المشكاة.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد العظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (1411 هـ).
- شعب الإيمان، البيهقي، ت: محمد السعيد بسيوني خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، (1410).
- الشمائل المحمدية للترمذي، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، الترمذي، ت: سيد عباس الجلبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/1، (1412هـ).
- صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ت: شعيب الأرنؤوط، ط/2، (1414هـ-1993م).
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

- طرق حديث من كذب علي متعمداً، للطبراني.
- عبقريّة محمد ٣، عباس محمود العقاد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (1415-1995).
- عيون الأخبار، لابن قتيبة، المؤسسة المصرية العامة.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت: محمد فؤاد عب الباقى، المطبعة السلفية.
- الفصول في الأصول، الجصاص، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ت: د. عجيل جاسم، ط1، (1405هـ).
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي، السعودية، ت: عادل بن يوسف الغرازي، ط2، (1421هـ).
- فيض القدير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، (1356هـ).
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، (1418-1997).
- لسان العرب، لابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1.
- مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1421-2000).
- مجمع الزوائد للهيتمي ومنبع القوائد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، (1407).
- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، للرامهرمزي، دار الفكر، بيروت، ت: د. محمد عجاج الخطيب، ط3، (1404هـ).
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي،

- بيروت، ت: محمد حامد الفقي، ط2، (1973-1393)،
- المستدرک للحاکم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1.
 - المسند، أحمد بن حنبل، مؤسسة القرطبي، مصر.
 - مسند البزار، أبو بكر البزار، ت: د. محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (1409هـ).
 - مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1.
 - المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط1، (1417 - 1996).
 - المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
 - مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشيد، ط1، (1409هـ).
 - مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، (1403هـ).
 - المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
 - المعجم الصغير، للطبراني، ت: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، (1405-1985).
 - المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، (1404-1983).
 - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399 - 1979).
 - معرفة الصحابة أبو نعيم الأصبهاني، ت: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، (1419هـ).

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/2، (1392هـ).
- الموطأ، الإمام مالك، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، ت: د. نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط/3.
- النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (1399 - 1979).